

جامعة جيجل
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

السنة: الثالثة ليسانس
تخصص: نقد ومناهج
الأستاذ/ توفيق قحام

محاضرات في النقد الجزائري الحديث

السنة الجامعية/2020-2021

المحاضرة الأولى: النقد التاريخي

1-تعريف المنهج التاريخي في النقد الأدبي:

هو كل توظيف للمرجعيات والفواصل الزمنية المختلفة من أجل فهم وتفسير كل ظاهرة أدبية، حيث يعتمد الناقد على تحريك الفواعل والمؤثرات التاريخية المرتبطة بالزمن من

اجل قراءة النص، ومن أهم هذه المؤثرات ما يتعلق بزمان الأحداث وزمن الكتابة وترتيب النص بين بقية النصوص، وزمن الكاتب، وتطور النوع الأدبي.

2-رواد النقد التاريخي عند الغرب:

يعتبر المنهج التاريخي الحديث في البيئة الغربية -رغم عمق جذوره- وليد الفلسفة الداروينية القائمة على حتمية التطور الزمني للحياة البشرية، من خلال واقع البيئة والوراثة، حيث اشتغل داروين 1809/1882 كثيرا على هذه الرؤية فربط الحياة بالتطور والإنسان بالتحول عبر مسار الزمن، وهي الفكرة التي أثارت جدلا واسعا في العالم أجمع، وتعززت هذه النظرية مع "برونتير" في دراسته لتطور الأجناس الأدبية، وكذلك مع "سانت بيغ" و"هيبوليت تين" و"غوستاف لانسون"، هذا الأخير الذي يعتبر الرائد الحقيقي للمنهج التاريخي النقدي، وذلك من خلال محاضراته التي ألقاها في جامعة بروكسل حول "الروح العلمية منهج تاريخ الأدب"، والتي صرح فيها بأن "دراستنا تاريخية، ومنهجنا إذن سيكون منهج التاريخ"، ثم نشر مقالا حمل عنوان: "منهج تاريخ الأدب" حدد فيه الخطوات الإجرائية للمنهج التاريخي .

3-المنهج التاريخي النقدي عند العرب:

تفاعل النقاد العرب مع المنهج التاريخي بحكم الاحتكاك والتفاعل، وبحكم الحاجة إلى فهم التاريخ وفهم النصوص من منطلق هذه الرؤية، خاصة مع وجود زخم شعري ونثري متوارث عن العرب القدامى، ويمكن القول أن النقاد العرب المحدثين قد وجدوا ضالتهم في هذا المنهج، فكان من أهم ما تم طرحه، دراسات طح حسين حول أبي العلاء المعري، والمتنبي، وتبعه في ذلك أحمد ضيف ومحمد مندور.

4-المنهج التاريخي في النقد الجزائري:

بالرغم من وجود محاولات نقدية متفرقة هنا وهناك قدمها أدباء جزائريون من أمثال رمضان حمود ومحمد السعيد الزاهري وغيرهم تعتمد المنهج التاريخي في دراسة النصوص، إلا أنه يمكننا عد التجربة النقدية عند أبي القاسم سعد الله المحاولة الأولى المكتملة الأسس والأركان والمنهج، وذلك بحكم الطبيعة والشروط والضوابط المتعلقة بهذا المنهج، حيث تجلي ذلك في دراسته الموسومة بـ: دراسات في الأدب الجزائري الحديث سنة 1961، والتي تناول فيها :

شعر المنابر ثم شعر الأجراس لينتقل إلى شعر البناء، يعرج على شعر الهدف، ليختم دراسته بالحديث عن شعر الثورة سنة 1954.

وفي عمله النموذجي حول "محمد العيد آل خليفة"، عمل على الجمع بين الأدب والتاريخ واهتم من خلاله بحياة الشخصية وبتطور مسارها الإبداعي، فقسم دراسته إلى:

-حياة الشاعر وبيئته وثقافته وتجاربه

-شعره بين أغراضه ومضامينه الاجتماعية والسياسية والدينية والإصلاحية والذاتية وشعر المجاملات والحياة العربية وغيرها.

-نماذج مختارة من شعره تبين الحس الشعري عن الرجل.

وقد صرح سعد الله بفلسفته حول المنهج فقال في مقدمة دراسته: "أما المنهج الذي سرت عليه، فقد قسمت البحث إلى ثلاثة أقسام

واستمرت الدراسات النقدية الجزائرية في توظيفها للمنهج التاريخي مع "عبد الله الركيبي"، حيث قدم دراسات حول القصة الجزائرية القصيرة 1967، تناول فيها نشأة القصة الجزائرية ومسارها العام، ثم انتقل للحديث عن أشكالها وعناصرها الفنية، ليختم دراسته بملحق خاص بالنصوص القصصية والمراجع التي أخذت منها، وقد قال فيها عن المنهج الذي اختاره: "اخترت المنهج الذي يجمع بين النقد والتاريخ. فالتاريخ هنا ليس مقصودا لذاته، وإنما هو لبيان خط تطور القصة ومسارها العام. وكيف تطورت وماهي الأشكال التي ظهرت فيها. لأن الأدب يتطور بتطور حياة الإنسان، والتاريخ يساعد على تحديد مراحل هذا التطور" ولم يتوقف الركيبي عند هذه الدراسة بل استمر منهجه في دراسته حول "الشعر الديني الجزائري الحديث" وهي رسالة دكتوراه، بالإضافة إلى دراسته "تطور النثر الجزائري الحديث"

وأما الناقد محمد ناصر فقد وقف عند هذا المنهج من خلال دراساته حول "مفدي زكريا شاعر النضال والثورة" و"أبا اليقضان وجهاد الكلمة" و"رمضان حمود حياته وآثاره"، ويمثل كتابه "الشعر الديني الجزائري الحديث (أطروحة دكتوراه) "نموذجاً من أرقى مستويات التعامل التاريخي مع الظاهرة الأدبية، فرغم استعانتة ببعض المعطيات المنهجية الأخرى... إلا أنه لا يخضع هذا لذاك قسراً، بل يستعين به حيث يقتضي الأمر"¹

كما اهتم الناقد الجزائري الصالح خرفي بالمنهج التاريخي في ممارسته النقدية، حيث اشتغل مطولاً على الكتابة الشعرية الجزائرية خلال مرحلة المقاومة الاستعمارية وتجلّى ذلك في رسالته للماجستير الموسومة بـ "شعر المقاومة الجزائرية" تناول فيه (المقاومة المسلحة والمقاومة الانطوائية والمقاومة القلمية)، وهي رؤية قائمة على البحث في الانتقال

¹ يوسف و غليسي: النقد الجزائري المعاصر من الانسوية إلى الأسنوية، إصدارات رابطة ابداع الثقافية . الجزائر، ط1، 2002، ص27-28.

بين المضامين والأغراض النفسية للذات الشاعرة، ولهذا انتقل مباشرة إلى دراسة أخرى سماها بـ "الشعر الجزائري الحديث" 1970 وهي رسالة دكتوراه، وهي الدراسة التي قال عنها: "استعنا بالتاريخ في فهم النصوص، وموقعها منه، وبالمجتمع في فهم ملابسها وأصدائها، واستفسرنا الحالة النفسية التي أثرتها المأساة عمقا وإحساسا، ولم نغفل السياسة التي تعتبر المنطلق الرئيسي للشعر الجزائري الحديث".

ومن هنا يمكن القول أن الناقد الجزائري اهتم بالنقد التاريخي في معالجة الظواهر الإبداعية الأدبية بشكل أوسع، بل إنه استطاع أن يقرب هذه النصوص من العالم الخارجي، سواء العربي أو الغربي، وبالتالي الكشف عن العوالم الانتمائية والجذور الفكرية والفلسفية للظاهرة الإبداعية الجزائرية، خاصة مع كل الممارسات الهمجية للاستعمار الفرنسي الذي عمل على طمس الأدب المكتوب بالعربية، فالهدف من هذه الدراسات هو ربطها بالماضي القريب وبالشخصية الجزائرية.

المحاضرة الثانية: المنهج الاجتماعي في النقد الجزائري

1- المنهج الاجتماعي في النقد الغربي:

ارتبط المنهج الاجتماعي بالمقولات الفلسفية للفلسفة المادية عند كارل ماركس وفريدريك انجلز، والتي تعتبر الوجود مرتبطا بالمادة، وأن هذه الأخيرة يجب أن تحدد نوعية هذا الوجود، من خلال الجو السياسي الذي يحكم الأفراد، واشتغل "لينين" على تطوير هذه الرؤية من خلال تحليل فضاء الإنتاج الاجتماعي باعتباره أساس الوجود، وكذلك من خلال مواجهة طبقة البروليتاريا.

واتخذت الفلسفة الاجتماعية، أو المادية وجها جديدا مع رواد آخرين من أمثال الناقد والفيلسوف الروسي " بلينسكي" وكذلك بلخانوف، تم " جورج لوكاتش" و "لوسيان غولدمان"، حيث وظفت فيها مصطلحات خاصة ومتفردة منها البطل السلبي، البطل الايجابي، الرؤية العالم، الفهم، الانعكاس، البنية، الجماعة،...

2- المنهج الاجتماعي في النقد العربي:

لعل الملاحظ على الساحة النقدية العربية أن أغلب النقاد الذين اهتموا بالمنهج التاريخي في ممارستهم النقدية هم أنفسهم الذين طبقوا المنهج الاجتماعي، وذلك راجع للتعلق الحاصل بين المنهجين من حيث ارتباط الذات والشخصية بالضرورة الزمنية، ومن أبرز الرواد طه حسين وأحمد أمين وسلامة موسى، ومحمد مندور ولويس عوض ومحمد أمين العالم، وتطور حضور هذا المنهج مع دراسات غالي شكري وفيصل دراج ومفيد الشرباشي، ونبيل سليمان، وكذلك مع أنصار البنيوية التكوينية من أمثال محمد مفتاح ومحمد بنيس ومحمد برادة ويمنى العيد ومحمد رشيد ثابت

3- المنهج الاجتماعي في النقد الجزائري:

ارتبط المنهج الاجتماعي في النقد الجزائري بالروافد الخارجية المتصلة بالنظرية النقدية الغربية، وكذلك بالممارسات النقدية العربية، يضاف إلى ذلك علاقة الكتابة الإبداعية بالمجتمع الجزائري المقهور والمحتل من قبل المستعمر الفرنسي، وقد شكلت كتابات عبد الله الركيبي النقدية الوجه الفعلي لحضور هذا المنهج في الممارسة النقدية الجزائرية، وذلك من خلال درسته حول "الشعر الديني الجزائري الحديث"، حيث صرح بذلك حينما قال: "على أن اهتمامنا انصب في تحليلنا للنصوص الشعرية- على الجانب الاجتماعي وركزنا عليه وربطنا بين الشاعر وبيئته، وبين المنشئ وجمهوره، واعتبرنا الشعر لدى المنشئ تعبيراً عن ذاته، وفي الوقت نفسه تعبيراً عن ظروف المجتمع ومعطيات العصر، وما وجد فيه من أزمات روحية وفكرية وسياسية واقتصادية، وإذا كنا نلج على التفسير الاجتماعي للأدب دون إهمال للجوانب الأخرى، فلأننا نؤمن بأن الشعر نشاط إنساني يعكس ما يجري في بيئة الشاعر من أحداث ووقائع ومفاهيم"²، وهي نظرة متصلة بعمق التغلغل في المنهج وربط النص به، ولهذا استمر في دراسته الأخر التي تلتها، ومنها "قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر"، وكذلك دراسته الموسومة بـ "الأوراس في الشعر العربي".

ولعل تفاعل الركيبي القوي مع المنهج الاجتماعي تجلّى من خلال خطابه المباشر إلى ضرورة ربط الجمال والمجتمع بالنص، وذلك في دراسته حول الشعر في زمن الحرية عندما تحدث عن "المنهج الجمالي الاجتماعي قائلاً: "لعل الوقت قد حان كي نأخذ بالمنهج النقدي الجمالي الاجتماعي، فنهتم بالنص من حيث أنه تعبير عن تفرد الأديب وعن مزاجه ووعيه وثقافته ورؤيته الخاصة..."³

¹² عبد الله الركيبي: الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981، ص8.

³ عبد الله الركيبي: الشعر في زمن الحرية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، دط، 1994، ص185.

أما الناقد محمد مصايف فقد وظف المنهج الاجتماعي بعيدا عن الشعر حينما تناول الرواية القصة، وهي الأشكال النثرية الأقرب للمجتمع، فدرس "الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام" محاولا في ذلك تصنيف الروايات حسب الدلالة الموضوعاتية المهيمنة فجاءت متمحورة حول الايديولوجيا والهدف والواقعية والشخصية وكل ماله صلة بالطبقية والتميز، أما دراسته حول القصة والتي عنونها بـ "القصة الجزائرية الحديثة" فقد مثلت الحضور الفعلي والصدى القوي للمنهج الاجتماعي وهي التي قسمها إلى: فصل الثورة وفصل القصة والتغيير الاجتماعي، وفصل القصة والاختيار القومي، وفي الأخير فصل القصة والبناء الفني، وهي الخطوات التي تبناها ودافع عنها في دراسته الموسومة بـ "دراسات في الأدب والنقد" والتي تناول فيها قضايا المواضيع والمضامين وقضايا التفسير وتحديد وضبط الأفكار، بالإضافة إلى التقويم والتقييم.

واستمر المنهج الاجتماعي في المرحلة الحديثة مع الروائي والناقد "واسيني الأعرج" في كتابه "اتجاهات الرواية العربية في الجزائر" عندما قسمه إلى بابين: باب ف الرواية والثورة والوطنية والتحولات الديمقراطية، وباب تطبيقي خصصه لدراسة مضامين الرواية بين الإصلاحية والرومانسية والواقعية النقدية والواقعية الاشتراكية، كما تناول محمد ساري المنهج الاجتماعي في دراسته "البحث عن النقد الأدبي الجديد"، وقدمه إبراهيم رماني وزينب الأعوج، ومخلوف عامر ومحمد مرتاض وعبد المالك مرتاض في دراساتهم النقدية ، فهذا الأخير قدم دراسة دقيقة وشاملة للنقد الاجتماعي انطلاقا من المرجعية الماركسية إلى غاية البنيوية التكوينية عند لوسيان غولدمان، وذلك في دراسته حول النظريات النقدية.

4-خصائص المنهج الاجتماعي في النقد الجزائري:

- الشمولية وتتمثل في الاهتمام بالشعر والنثر
- الموضوعاتية وهي الاهتمام بالموضوع مباشرة
- الانفتاح على النقد التاريخي والنفسي والفني في الممارسة من خلال التعالق المنهجي
- المشاركة، حيث أن أغلب النقاد يتشاركون في تطبيقهم لهذه المناهج، دون التفرد بمنهج بعينه

المحاضرة الثالثة: المنهج النفسي في النقد الجزائري

1-المنهج النفسي في النقد الغربي:

ارتبط المنهج النفسي في الغرب بالطبيب النمساوي "سيغموند فرويد" 1856/1939، وسمي المنهج بالفرويدية تارة والنظرية التحليل النفسي تارة أخرى، ومعناه البحث في اللاوعي الباطني للذات الفردية، واستكناه المكبوتات المتراكمة والعقد المكدسة في جوف الذات، ولهذا فإن أكثر المصطلحات التصاقا بهذا المنهج هي (اللاوعي، اللاشعور، الكبت، العقدة)، وقد طبق فرويد هذا المنهج في العديد من الدراسات من أهمها معالجته لشخصية الرسام الايطالي "ليوناردي فانشي" ولوحته الشهيرة بالموناليزا، كما درس شخصية الروائي الروسي "دستوفسكي" من خلال عمله الروائي "الإخوة كرامازوف".

ويقوم هذا المنهج على منطلقات محددة كما تناولها فرويد ومنها:

-ربط النص بلا عور صاحبه

-الكاتب يتميز دوما بمرض عصابي يتحكم فيه وبالتالي فالعمل هو عرض عصابي يعكس اللاشعور المكبوت.

-افتراض بنية تحتية مهيمنة تسمى اللاوعي تظهر من خلال سلوكيات معينة لا إرادية، ومن أهم ساحات تجلي هذا النمط الإبداع الأدبي الذي يفلت من سلطة الذات في كثير من الأحيان.

-الأشخاص في الرواية يتجاوزون الخيال والورقية إلى الحقيقة.

2-المنهج النفسي في النقد العربي:

كغيره من المناهج النقدية مثل المنهج النفسي رؤية جديدة وجريئة في معالجة الأعمال الأدبية والوقوف على الجوانب المسكوتة فيها، وقد تجلت في دراستين هامتين الأولى لطف حسين في كتابه حول شخصيتي المعري والمتنبي، والثانية للعقاد في دراسته

لشخصيتي ابن الرومي وأبونواس، وتلتهما دراسات أخرى أكثر تميزاً وقوة، ومنها دراسة مصطفى سوييف الموسومة بـ الأسس النفسية للإبداع الفني" ودراسة عز الدين اسماعيل الموسومة بالتحليل النفسي للأدب.

3-المنهج النفسي في النقد الجزائري:

يعتبر الناقد عبد القادر فيدوح من الرواد الأوائل في توظيف المنهج السيكلوجي، حيث رأى في مقدمة مخطوطه للدكتوراه أنه "يمنحنا قراءة خاصة عبر صياغته الفنية التي تحمل في ذاتها رؤية لعالم الإنسان الخفي، واستدعاء تجليات اللاوعي الجمعي"⁴، وهي دعوة صريحة للتركيز على الجوانب المظلمة والمكبوتة في عمق الشخصية المبدعة، ورغبة جامحة في استنطاق المسكوت عنه داخل الذات الفردانية، وقد تنبه الناقد محمد ناصر إلى أهمية هذا الجانب المغيّب فحاول استدراك ذلك في دراسته السيكلوجية لديوان الشاعر الناقد "الصالح خرفي" "أطلس المعجزات"، تماماً مثلما قدم الناقد "محمد مقداد" دراسته المتميزة والمفصلة حول الإستراتيجية العسكرية في الكتابة الشعرية، وذلك من خلال دراسته الموسومة بـ دراسة سيكو عسكرية لديوان أطلس المعجزات" ، والتي اعتبرت محاولة لفهم الحرب النفسية التي يمارسه الشاعر، ودورها في قلب الموازين، ولعل هذا ما يحيلنا إلى استحضار التاريخ والمجتمع في فهم الحالة النفسية، كما يبين لنا الدور الكبير الذي يمكن أن يلعبه الخطاب الأدبي في كشف رغبة صاحبه وبلورة الوعي الداخلي والخارجي.

وبالتوجه إلى ناقد آخر وهو الأكاديمي والباحث "سليم بوفنداسة" نكتشف تصورا آخر للمقاربة النفسية في فهم الكتابة الروائية/ وذلك من منطلق عقدة أوديب، التي استحضرها في دراسته للأعمال الروائية للروائي "رشيد بوجدره"، حيث تناول فيها:

1-عقدة أوديب

2-خصوصيات الشخصية المغاربية والأدب المغاربي

3-سيكلوجية الفنان

4-تعريف منهج تحليل المحتوى

5-تحديد الفئات

6-وضع الفئات في إطارها العلائقي

7-التفسير الخاص والعام.

وهي كلها محطات متصلة ومتعاقبة تكشف الجوانب العاطفية التي تحرك الكاتب مثلما تحرك الشخصيات الورقية في الرواية، ولهذا يرى بوفنداسة أن سبب اختياره لهذا الكاتب راجع لكونه شخصية متمردة على كل التقاليد والقيم، ومعروفة بتجاوزها لكل الطابوهات وإثارة الجدل في كل الأوساط، وهو في كل هذا "يفترض أن بوجدره حبيس العقدة الأوديبية

⁴ عبد القادر فيدوح: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، مخطوط دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر، 1990.

ليس من قبيل الحكم المسبق بل من باب القراءة القبلية، لم يحدد العينة... التي تبدو له أكثر التصاقا بحياة الكاتب"⁵

ويمكن القول أن الناقد الجزائري حاول البحث في مختلف الجوانب المتصلة بالكتابة الإبداعية، كما نوع من دراساته بين الشعر والنثر و استطاع أن يسهم في تطوير هذه الأشكال وأن يعرف بها داخل وخارج الوطن.

وفي الأخير ورغم القول بمواكبة الناقد الجزائري لكل المستجدات، ورغم القفزة النوعية للحركة النقدية الجزائرية إلا أن حضور هذا المنهج أثبت محدوديته في منشأه بأوروبا لأنه حد من ايجابية النص الأدبي كباقي المناهج السابقة، كما استهزأ بالذات المبدعة وحولها إلى مريض نفسي لا يفيد المجتمع بقدر ما يؤثر على فاعليته وحركيته المنتجة، يضاف إلى كل هذا أن هذا المنهج غيب تماما كباقي المناهج الروح الفنية والجمالية للكتابة الأدبية بمختلف أشكالها.

⁵ يوسف و غليسي: النقد الجزائري المعاصر من الأنسوية إلى الألسونية، إصدارات رابطة إبداع، الجزائر، ط1، 2002، ص87.